

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّفَرُ وَتَرْوِيحُ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَسَهَّلَ لَنَا السَّعْيَ فِي مَنَاقِبِهَا، وَحَثَّنَا عَلَى النَّظَرِ فِي بَدِيعِ صُنْعِهَا وَسَمَائِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ النَّاسِ خُلُقًا فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ، وَأَعْظَمُهُمْ وَفَاءً لِلأَهْلِ وَالذِّيَارِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى تَابِعِيهِمْ مِنَ الْبِرَّةِ الْأَطْهَارِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ، وَأَمْتَثِلُوا أَوْامِرَهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ النُّفُوسَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَبَعْدَ الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ تَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَى التَّجْدِيدِ وَالتَّرْوِيحِ؛ لِيَعُودَ الطَّالِبُ إِلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ وَالْمَوْظَفِ إِلَى عَمَلِهِ بِهَمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ التَّرْوِيحَ تَجْدِيدٌ لِنَشَاطِ الْإِنْسَانِ وَحَرَكَتِهِ، وَصَفَاءٌ لِدِهْنِهِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: ((إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ))، إِنَّ قَضِيَّةَ التَّرْوِيحِ لَا يُمْكِنُ تَجَاهُلُهَا لَدَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ أَهْمِيَّةً فِي مَوْسِمِ الْإِجَازَاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَبَيَّنَ مَدَى الْإِفَادَةِ مِنَ التَّرْوِيحِ نَفْسِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، وَأَنْ لَا نَجْعَلَهُ لِمُجَرَّدِ تَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَإِمْضَاءِ السَّاعَاتِ تُونِ مَرْدُودِ بِنَاءٍ، فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لِلتَّرْوِيحِ وَقْتًا مُخَصَّصًا، وَيَجْعَلُ لِلْعَمَلِ وَالْجِدِّ أَوْقَاتًا أَكْثَرَ، وَتَرْوِيحُهُ لَا يُضْعِفُ إِيمَانَهُ وَلَا يُفْسِدُ أَخْلَاقَهُ، وَلَا يَتَعَدَّى وَقْتُ التَّرْوِيحِ عِنْدَهُ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ يَجْرَةَ وَلَا بَيْعَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(١).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

من أنواع الترويح السفر، وقد حث الإسلام عليه وجعله مجالاً للتفكير والنظر، والتدبر في خلق الله، فهو يقوي الصلة بالله لما فيه من التفكير في آياته الظاهرة، والتدبر في بديع صنعه الباهرة، والمتأمل لكتاب الله يجد إشارة واضحة إلى ما في السفر من المصالح الدنيوية، والمنافع المعيشية، قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١)، فالعلم والمعرفة من أهم فوائد السفر، وإن تعجب فاعجب ممن تمر عليه المشاهد والمواقف، لا يكتسب منها خبرة، ولا يتزود منها معرفة ولا علماً. ولقد ضرب السلف الصالح لهذه الأمة أروع الأمثلة في اغتنام فوائد السفر، جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: ((زار رجل أخا له في قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها عليه - أي تقوم بها وتصلحها-؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)).

أيها المسلمون:

لقد عني الإسلام بالسفر عناية فائقة؛ فجعل له أحكاماً تخصه من آداب وواجبات، وأذكار ودعوات، فينبغي للمسلم المحافظة على ذكر الله في كل وقت ومناسبة، إذ المسافر تعرض له أمور كثيرة، ولكل منها أدعية مخصوصة، وقد علمنا الله تعالى أن نذكره في بداية أسفارنا، وذلك في قوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (٢)، وبدوام ذكر الله في السفر يتضاعف الأجر والثواب، ويكون مظنة لإجابة الدعاء من الكريم الوهاب، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة

(١) سورة غافر / ٨٢ .

(٢) سورة الزخرف / ١٣-١٤ .

الوالد، ودعوة المسافر))، وهكذا تبقى صلته بالله قويّة، وتصلح علاقته مع صحبه فتكون قويمه سويّة، ففي السفر تتكشف للناس أخلاق المرء على حقيقتها، وتظهر سلوكياته على طبيعتها، وقد روي (أن رجلاً شهد عند عمر - رضي الله عنه - فقال عمر: لا أعرفك، انتني بمن يعرفك، فقال رجل: أنا أعرفه، فقال عمر: هل جاورته؟ قال: لا، قال: هل عاملته بالدينار والدرهم؛ فعرفت صدقه وأمانته؟ قال: لا، قال: فهل سافرت معه فعرفت أخلاقه؟ قال: لا، فقال عمر: ما تعرف الرجل، ثم التفت إلى الرجل الشاهد وقال: انتني بمن يعرفك)، ومن أعظم آداب المسلم في سفره وحضره المحافظة على المرافق العامة، فلا يتعرض لها بما يؤدي مرتاديهما، ويمنع الانتفاع بها لقاصديها، كالتساهل في رمي المخلفات، وإفساد الطريق أو الظل النافعين، أو موارد المياه العذبة ونحو ذلك، وما أجمل أن يظهر المسلم بصورة الواعي الذي يفكر فيمن يأتي بعده من الناس، ويقوم واجب الجوار في المتنزهات العامة؛ فلا يؤدي مشاعر من يجلس بجواره، بل يبادر إلى الإحسان بالهدية الطيبة من الطعام أو نحوه من المنافع المادية والمعنوية.

فاتقوا الله - عباد الله - في كل أحوالكم، في حكم وارتجالكم، تصحبكم السلامة في أسفاركم، ويصلح الله شأنكم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم،
وَادْعُوهُ يُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الحمْد لله رب العالمين، يحفظ عباده ويرعاهم، ويكفل بالخير مسعاهم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، حث أمته على التحلي بالآداب، وحسن العشرة مع الأهل والأصحاب، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ السَّفَرَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ فَوَائِدَ جَمَّةٍ، وَمَنَافِعَ مُهِمَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَفْقَ مَا لِلْفَرْدِ أَوْ الْأُسْرَةِ مِنْ إِمْكَانِيَّاتٍ، وَمَا يَمْلِكُونَهُ مِنْ مِيزَانِيَّةٍ وَقُدْرَاتٍ، يُخَطِّطُونَ لِأَسْفَارِهِمْ وَفَقًا لِقُدْرَاتِهِمُ الْمَالِيَّةِ، وَبِمَا يَتِمَاشَى مَعَ ارْتِبَاطَاتِهِمُ الْعَمَلِيَّةِ، فَإِنَّ مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ لِاتِّبَاعِهِ الْإِبْتِعَادَ عَنِ الْقَرَارَاتِ الْارْتِجَالِيَّةِ، وَالْحَذَرَ مِمَّا يُسَبِّبُ لَهُمْ مَشَاكِلَ مَالِيَّةٍ، أَوْ تَكُونَ عَاقِبَتُهَا أَضْرَارًا اجْتِمَاعِيَّةً، وَإِنَّ مِمَّا يَحْزُرُ فِي النَّفْسِ أَنْ يُنْفِقَ بَعْضُ النَّاسِ لِلسَّفْرِ الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، عَلَى حِسَابِ الْأُسْرَةِ وَحُقُوقِ الْعَائِلَةِ، يُسَافِرُ سَفْرًا تَضِيْعُ مَعَهُ رِعَايَةَ أُسْرَتِهِ فِي الْجَوَانِبِ الْمَادِيَّةِ، وَتَخْتَلُ فِيهِ تَرْبِيَّةٌ أَوْلَادِهِ الْخُلُقِيَّةِ، وَتَضَعُفُ بِهِ أَوَاصِرُهُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، إِنَّ سَفْرًا كَهَذَا لَا يَنْشَأُ مَعَهُ جِيلٌ وَاعِدٌ، وَلَا يَتَعَزَّزُ بِهِ خَلْقٌ رَفِيْعٌ مَاجِدٌ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ))، أَوْ أَنْ يُسَافِرَ الْمَرْءَ لِلنُّزْهَةِ وَالسِّيَاحَةِ فِي الْعَامِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ، فِي حِينٍ يَجْعَلُ ذَلِكَ فِي حَقِّ أُسْرَتِهِ مِنَ الْأَحْلَامِ الْبَعِيدَةِ، وَلَيْسَ بَعِيدًا عَنِ هَذَا مَنْ يَعْبُرُ الْحُدُودَ لِلسِّيَاحَةِ مُتَكَلِّفًا الْمَصَارِيْفَ الْكَثِيرَةَ، وَفِي الْوَطَنِ الْعَزِيْزِ لِلنُّزْهَةِ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، يَسْتَطِيعُ بَزِيَارَتِهَا تَلْبِيَّةَ حَاجَةِ نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ مِنَ التَّرْفِيهِ، وَيَتَعَرَّفُ عَلَى رُبُوعِ وَطَنِهِ وَالْمَقَدَّرَاتِ الَّتِي فِيهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَاهْنَأُوا بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَمَا أَبَاحَ لَكُمْ مِنْ نَقْيِ النُّزْهَاتِ، وَالتَّزَمُوا آدَابَ السَّفْرِ؛ تَنَالُوا الْخَيْرَ الْأَوْفَرَ، وَتَعَوَّدُوا مِنْ أَسْفَارِكُمْ بِجَمِيلِ الثَّمَرَاتِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى

سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
 كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
 وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
 أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
 فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا
 زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَالِلًا طَيِّبًا
 وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
 شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتَبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
 اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
 الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
 ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
 سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.